أُسلوب الدفن عند الحثيين ونظرتهم لحياة ما بعد الموت

م.د. خلف زيدان الحديدي *

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/٩/٢٩ تأريخ القبول: ٢٠١٣/١٢/٣

تمهيـــد :

من الصعب في معظم الأحيان فهم وتكوين صوره عن طبيعة المعتقدات الروحية للإنسان منذ القدم، ففهم التوجيه الديني للإنسان والمسير نحوه يعني الابتعاد عن واقعنا وبمعنى أدق مواجهة معتقدات أكثر غرابة عمّا هي عليها في أذهاننا ومنها فهم واستيعاب المعتقدات الدينية ذات العلاقة بالنظرة إلى حياة ما بعد الموت عند الحثيين.

كان الإنسان في المجتمع الحثي يتسم بالاستقامة والعمل الدؤوب والاجتهاد لإرضاء الآلهة التي كان يؤمن بها، ولإبعاد غضبها وسخطها عنه قدر المستطاع ؛ لأنَّ الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية التي قد تصيبهُ منها وبحسب معتقداتهم الدينية التي كان يؤمن بها، إذ كان هنالك تمييز واضح بين الجيد والسيئ من الأعمال في المجتمع الحثي بما عبرت عنه المفردة الحثية لكلمة جيد بـ(**assu**–) وكلمة سيء بـ(**idalu**–)[(١)]، وإلى ذلك فإن جميع الناس لأغلب المعتقدات الدينية القديمة يؤمنون بأنهم سيموتون، لذا فقد أبدى هؤلاء القوم اهتماماً كبيراً بموتاهم، وهذا كان يشكل عاملاً مهماً في الأنظمة والمعتقدات والممارسات في العديد من ثقافات الحضارات القديمة، ففي الشرق الأدنى القديم وكما في الثقافات الأُخرى المختلفة كانت هنالك طرق متنوعة لأداء الطقوس على أجساد الموتى والإجراءات المرافقة لعملية الدفن، فأجساد الموتى كانت تتعرض لعدة إجراءات طقسيه من أجل إتمام عملية الدفن، إذ تتم بداية هذه الخطوات المتعلقة بالطقس أو الإجراءات قبل الدفن بالآتي:

---

* قسم الحضارة/ كلية الآثار/ جامعة الموصل.

(1) UNAL ,A. , HiTiTLER DEVRINDE ANADOLU , Istanbul , 2005 , P. 174.

١- الغُسل.

٢- النظرة الأخيرة باحتضان أو ضم المتوفى إلى الصدر.

٣- حماية المتوفى من الأرض وحسب اعتقادهم بحرق جثته وتحويلها إلى رماد[١].

أسلوب الدفن عند الحثيين:

أ- حرق جثث الموتى.

ب- بعد حرق جثث الموتى كان يتم دفن عظامه في قبور خاصة.

ج- القسم الآخر منهم كان يقوم بدفن الجثة دون حرق وذلك بعد أن تربط الجثة بوثاق محكم بعدأنيتم مدّ ذراع الميت وذلك بسحبها إلى الركبة حتى تبدو الجثة ككومة هامدة ثم يقومون بربطها ربطاً محكماً وبعد ذلك تدفن في القبر، وإن سبب هذا الربط المحكم حسب اعتقادهم كان الخشية من قيام الميت بفك نفسه من هذه الوثاق والخروج مجدداً إلى الحياة وكذلك منع الجسد من التمدد والخروج إلى عالم الأحياء إذا ما عاودته الروح[٢]، والسبب الثاني حسب اعتقادهم أيضاً في ربط الجثة هو إعادة الميت إلى حياته الأُولى التي كان يعيشها في بداية تكوينه في بطن أُمه، وبشكله المكور له داخل رحم أُمه قبل ولادته وخروجه إلى الحياة[٣].

ويستدل من نتائج التنقيبات الآثرية ذات العلاقة بأساليب الدفن في بلاد الأناضول والتقاليد الجنائزية المتبعة فيها أن تلك الممارسات والعادات والتقاليد قد تغيرت على مر السنين على وفق

---

(1)Yener، K. A, and Hoffner, H. Recent Development in Hittite Archaeology and History, Indiana, 2002 , P. 73.

(٢) وهذا الرأي فسر من أغلب الباحثين على أن الموتى وحسب المعتقدات القديمة للحثيين أن الميت يستطيع أن يملك القوة والقدرة على فك الأربطة والخروج إلى الحياة مجدداً ولهذا فإن الأمر يحمل في طياته أمور وتأويلات كثيرة في المعتقدات الحثية. ينظر:

Eyuboğlu , I. Z. , AnadoluMitolojis. , Istanbul , 1998 , P. 101.

(3) Ibid , P. 100.

الأوضاع السائدة تجاه الموتى آنذاك، فقد انعكست تلك التقاليد السائدة آنذاك بين أفراد المجتمع الحثي على طرق الدفن فضلاً عن أساليب البناء الجنائزية للقبر[١] والمواد المستعملة في تشييده وإن تلك الممارسات والعادات وطرق الدفن وحياة ما بعد الموت ساعدتنا لفهم كثير من العادات والتقاليد للثقافات المتعددة والمتغيرة وطبيعتها، وكذلك أيضاً لطبيعة هذه التقاليد الثقافية المختلفة، بالرغم من أن فكرة حياة ما بعد الموت كانت سائدة في أغلب المجتمعات القديمة وحتى في حالة مدافن الأقوام البدوية والتي استعملت طريقة الحرق ووضع الرماد في أواني فخارية ثم دفنها .

وفي هذا السياق كشفت أعمال التنقيب عن مقبرة في موقع (اوسمانكايا***osmankaya***)[٢]، وأثبتت فيها أن هذه المقبرة تعود إلى عصر المملكة الحثية القديمة (١٦٥٠ – ١٤٠٠ ق. م)، إذ قام السكان في بلاد الأناضول بدفن موتاهم بعد عملية حرقها ووضع رفات موتاهم أي الرماد المتبقي من عملية حرق الأجساد في جرار أو أنواع من الأواني الفخارية المختلفة، اذ وجدت هذه المقبرة أسفل أحد الصخور المتدلية لهذه الموقع تبلغ عرضها (٣)م وطولها حوالي (٢٠)م، وقد تمت دراستها وفحصها فتبين أنها تضم حوالي (٥٠) قبراً تحتوي على رماد الأموات بعد عملية الحرق و (٢٢) هيكلاً عظمياً، وقد تم الكشف عن العديد من الجرار

---

(١) القبر: وعادة ما يسمى عند الحثيين ببيت العظام (**خيشتي** ***hišti***) أو بيت (**خيشتا*hišta***)، وهو ما يفسر أيضاً بكونه ضريح أو معبد لدفن الموتى، لأن في أحد نصوص الملك الحثي حاتوشيلي الثالث (١٢٦٧ – ١٢٣٧ ق. م) جاءت في نص العبارة الأتية و تدل على بيت العظام إذ نقرأ ما نصه: "(***haštiyaspir***) **أي (بيت العظام)، وإن الكلمة (*hašta*) تبدو إنها كلمة حاتيه الأصل**"، وهذه الكلمة قد تحولت إلى كلمة (***hašti***) باللغة الحثية، وهذا أحد الأمثلة الحية لتغيير الكلمات من اصلها الطبيعي الى اللغات الاخرى التي كانت سائدة في بلاد الاناضول. ينظر:

Gureny , O. R. , Som Aspects of Hittite Religion , Oxford , 1977 , P. 38. (6)
Lehmann. J. , The Hittites People of a Thousand Gods London , 1977 , P. 155.

(١) (**إوسمانكايا*osmankaya***): وهي إحدى المواقع الحثية والتي تقع إلى الشمال من القسم الرابط للسلسلة الجبلية الصخرية لمنطقة (**بيوككايا*Büyukkayu***) أي في منتصف يمين الطريق المؤدي إلى الجدار الصخري ليازليكيا. ينظر:

Akurgal , A. , The art of Hittites , London , 1962 , P. 103.

الفخارية[١]، (ينظر الشكل رقم ١) التي احتوت على رماد جثث الموتى، ظهر أن قسماً منها كانت موضوعة على صخور مستوية، والبعض الآخر منها وجدت مدفونة أسفل هذه الصخور، فغالبية هذه الجرار كانت محروقة ومغطاة بالحصى والتراب[٢]، وفي المقبرة نفسهاتم العثور أيضاً على رفات لحيوانات مختلفة منها (الثيران، والخنازير، والأغنام، والماعز، والكلاب، والخيول)، ويبدو أنها كانت تقدم كأضاحي للشخص المتوفى اعتقاداً منهم بإمكانية الاستفادة منها في حياة العالم الأخرى[٣].

إن هذه الممارسات ذات العلاقة لعادات ومراسيم الدفن قد تغيّرت كثيراً في بلاد الأناضول على مر العصور وفقاً لطبيعة المعتقدات التي سادت في كل من تلك العصور فيما له علاقة بطقوس دفن الموتى بدءاً من العصر الحجري الحديث (٦٥٠٠ - ٥٦٥٠ ق. م) في موقع جطلهيوك إلى أن استقرت هذه العادات لحد ما في العصور المتأخرة، وقد تم دفن الموتى في قسم من مواقع بلاد الأناضول تحت أرضية المنازل، ولم تكن هذه الحالة شائعة لدى عامة الناس، وقد لا تشمل عملية الدفن في كثير من الأحيان دفن الهيكل العظمي للإنسان المتوفى بأكمله كما تفيد بذلك الكثير من الأدلة الآثرية وإنما قد يقتصر أحياناً على الجمجمة[٤] فقط أو أحد أعضاء الجسم، وهذا أيضاً مماثل لما حصل في العصور المبكرة من ممارسة دفن هيكل عظمي لطفل تحت باب المنزل الجديد ربما كان شكلاً وتعبيراً عن تقديم الأضاحي البشرية آنذاك[٥].

---

(١) من خلال التنقيبات الآثرية التي جرت في المقابر الحثية وجدت بعض الأواني الفخارية وبعض أواني السكب المقدس وكذلك بعض الأواني الفخارية الملونة وأشياء أُخرى تستخدم في الدفن. ينظر:

Hall , H. R. , The Ancient History of the Near East , London , 1963 , P. 340.

(2) Akurgal , A. , Op. Cit , P. 104.

(3) Collins , B. J. , The Hittites and Their world , Atlanta , 2007 , P. 195.

(٤) تعتقد الشعوب القديمة في دفن جمجمة بمفردها خلال عملية الدفن وذلك للأهمية الخاصة للرأس والتي تدور حول معتقد يرى في أن الرأس كان هو مستودعاً لقوة وقدسية. ينظر: السواح، فراس، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ المعتقد الديني، دمشق، ٢٠٠٢، ص ص ٢١٣-٢١٤.

(5) Lehmann , J. , Op. Cit , P. 151.

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنه لم تجر ممارسة حرق جثث الموتى في كل بلاد الأناضول بل يبدو أن ممارستها خفّت حدتها مع مرور الزمن ولاسيما في العصور المتأخرة لبلاد الأناضول وتحديداً منذ بداية النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد واقتصرت ممارستها على بعض المواقع إذ أن بعض جهات الأناضول لم تعرف فكرة حرق الجثة ولم يكن هنالك تقليد معروف عن حرق جثث الأموات عند الأقوام القاطنة في الأناضول(١)، ولكن وجدت آثار حرق بعض الجثث في القبور المكتشفة في مدينة تراقيا(٢) والتي ترجع بتأريخها إلى طور تراقيا الخامس، وكذلك وجد ما يماثل هذا الطقس لحرق الجثة عند اليونانيين(٣)، وثمة أدلة على نطاق واسع من التعاصر ما بين الحرق وعادة الدفن حتى في المقابر نفسها لبلاد الأناضول ويبدو أن هكذا نوع من مفاهيم الدفن هي كحالة الاختلاف المتضمنة لحياة ما بعد الموت والعالم الآخر(٤). وعلى ما يبدو هنا أن النار قد لعبت دوراً مهماً جداً في عملية حرق الجثة، وهنالك افتراض بحسب المعتقدات الحثية لحياة ما بعد الموت بأن فيه شيء ما قد نقل بواسطة هذه النار إلى جثة المتوفى من أجل تطهيرها(٥)

(١) إن العادات والتقاليد الثقافية لطرق الدفن والتي ظهرت بين الأقوام الهندو أوربية المختلفة التي استقرت في بلاد الأناضول لم تكن متشابهة إلى حد ما فيما بينها، وذلك بسبب التداخل الثقافي بين هذه الهجرات المتعاقبة على هذه المنطقة فيما بينها من جهة، ومن جهة أُخرى فإن أي تقاليد وعادات دينية روحية لا تحدد إلى ما لا نهاية بدون تغيرات متحصلة، إما بإبداعات روحية جديدة، وإما باستعارة تكافل أو إلغاء. ينظر: إلياد، مرسياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق، ٢٠٠٦، ص٢٣٧.

(٢) تراقيا: هي إحدى المواقع والتي تقع تاريخياً وجغرافياً في جنوب شرق البلقان بشرق اوربا وتتقاسمها بلغاريا واليونان وتركيا الاوربية في الوقت الحاضر، وتجاور تراقيا ثلاثة بحار هي البحر الأسود وبحر ايجة وبحر مرمرة. ينظر: عبو، عادل نجم، ومحمد، عبد المنعم رشاد، اليونان والرومان، دراسة في التاريخ والحضارة، موصل، ١٩٩٣، ص١٦٦.

(3) Macqueen , J. G. , The Hittites and Their Contemporaries in Asia Minor , London , 1986 , P. 133.

(4) Burney , C. , Historical Dictionary of the Hittites , Oxford , 2004 , P. 69.

(5) (17)Yener. K. A, and Hoffner, H. Op. Cit , P. 73.

(18) الدملوجي، فاروق، تاريخ الأديان، الإلوهية وتاريخ الآلهة، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٦٠.

نظرة الحثيين إلى معتقدات حياة ما بعد الموت:

لما كان الموت الذي يقضي على الحياة وملذاتها ولا مفر منه، وإن الإنسان يتمنى الحياة الدائمة ويطلب الخلود، فقد استفاد الكهنة منذ أقدم العصور البشرية من هذه الرغبة الملحة، فوعدوه بالحياة الثانية الخالدة بعد الموت، حتى إذا لم يتيسر له هذا التمني في هذه الدنيا سيجده في حياة مابعد الموت فاطمأن إليها ورغب فيها، فكانت قد شغلت هذه الحياة جميع الأقوام السابقة، فقد وجد الأثريون في كثير من القبور المكتشفة أطعمة وأسلحة ورؤوس حيوانات مدفونة مع الميت واستنتجوا من وجودها بأن عملية دفنها معه كانت اعتقاداً منه أنه سيعود ثانية إلى الحياة بعد الموت، ثم نضجت وتكاملت هذه القواعد فافترضوا وجود عالم آخر وراء هذا العالم مع حياة ثانية طبق الأصل لهذه الحياة الدنيوية بعد الموت ووضعوا لها قواعد مغرية من جهة، ومخيفة من جهة أُخرى.

إن دراسة معتقدات[١] حياة ما بعد الموت لدى الشعوب القديمة يكتنفها نوع من الغموض واللبس، إلا أن الأساليب المتبعة في عادات الدفن في بلاد الأناضول و في بعض نصوص الأساطير والنصوص الدينية الأُخرى والتي تخص أفكار والمعتقدات عن حياة ما بعد الموت[٢]، ربما توضح لنا جوانب من هذه المعتقدات، ففي أحد نصوص الأساطير الحثية ورد نص فيه إشارات إلى عالم ما بعد الموت، وإن هنالك إلهة اسمها(كولسيس) وهي الإلهة المقررة لمصائر البشر، إذ تقوم هذه الإلهة بإنهاء حياة الإنسان على الأرض ويصل إلى يومه المحتوم(يوم الوفاة)[٣].

إذاً فما هي نوع هذه الحياة لما بعد الموت التي يمكن أن يتطّلع إليها الإنسان بعد مماته؟، إن الأدلة النصية والآثرية على حد سواء توصي فيما يخص ظاهرة الموت بان معظم الناس في

(١) المعتقد عادة من عدد من الأفكار الواضحة والمباشرة وتعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات، وتوضح الصلة بينه وبين عالم الانسان، وغالباً ما تصاغ هذه الأفكار في شكل صلوات وتراتيل. ينظر: السواح، فراس، المصدر السابق، ص٤٩.

(20) Burney , C. , Op. Cit , P. 86.

(3) Collins , B. J. , Op. Cit , P. 192.

بلاد الحثيين كانوا يتبنون معتقد الحياة الأخرى[١]، فإن إلهة شمس الأرض قد أخذت على عاتقها مهمة نقل الأرواح إلى عالمها لظروف مهيأة لها هنالك وبهذا الخصوص ورد في أحد النصوص الدينية الحثية ما نصه:

"فإن الإنسان لا يعرف الإنسان الآخر، والأخوات التي هنَّ من أُم واحدة (لا) يعرفنّ يعضهنّ، والأخوة الذين هم من الأب نفسه (لا) يعرفون بعضهم البعض، والأُم (لا) تعرف طفلها، (الطفل) (لا) يعرف أمه. . .، لا يأكلون الطعام الجيد، لا يشربون (؟) الشراب الجيد، فهم يأكلون قطع الوحل ويشربون الحياة القذرة (؟)"[٢].

يفهم من خلال قراءة نص لحياة ما بعد الموت حسب المعتقدات الدينية الحثية، إن هنالك رحلة للإنسان سوف يقوم بها الإنسان بعد مماته إذ تصل بهإلى العالم الآخر ومعتقدهمبحياة ما بعد الموت، إذ يدخل الإنسان في هذا العالم بحياة لا يعرف الإنسان أخيه الإنسان، إذ لا يعرف الأخ أخاه، وكذلك الأُخت أختها، والأُم لا تعرف طفلها، والطفل لا يعرف أُمه، وإنهم يأكلون الطعام الرديء ويشربون المياه الآسنة والرديئة، فعلى ما يبدو إن هذه الحياة التي يدخلها الإنسان هي حياة مليئة بأهوال ومفاجئات جسام تمر عليه الرحلة هذه فكل إنسان بعد مماته سوف يدخل هذا العالم

(١) وهذا ما نلاحظه في حالات الانجاب عند الحثيين، وهي من الحالات المهمة وذات أهمية أساسية لدى المجتمع الحثي، لأن عملية الانجاب ليست هي عملية لأسباب عاطفية ولكن أيضاً لأن الوالدان يأملان من أولادهما على حد سواء الذكور والاناث في مساعدتهم عند الشيخوخة وكذلك تكريمهم بعد وفاتهم من خلال إقامة الطقوس الدينية عند الوفاة وأيضاً تقديم القرابين المختلفة بالطعام والشراب إضافة إلى الصلاة من أجل التخفيف عليهم أثناء وجودهم في الحياة الآخرى أو حياة ما بعد الموت. ينظر:

Imprati , F. ,"Private life among the Hittite " Civilization of Ancient Near East ed,Jack Sasson ,Vols:I. II,Newyork,1995, P. 574.

(2) Collins. B. J. , Op. Cit , P. 193.

وللمزيد أيضاً حول رحلة الخلود لروح الإنسان ولحياة ما بعد الموت. ينظر:

Laroche. E,Cataloue des texts Hittites ,Paris,1971,CTH , 457. P. 80.

وكذلك ينظر حول هذه المرحلة:

Hoffner , H. , Hittite Myths , Vol. 34 , No. 11 , Atlanta , 1998.

ويراه، حتى يستقر في نهاية المطاف إلى مكانه الأخير له بعد هذه الرحلة الشاقة المتعبة بحسب وجهة نظرهم لها.

فيما يتعلق باعتقاد الحثيين باستمرار حياة ما بعد الموت فقد كان كائناً إذ عثر على مقابر تحت أرضيات المنازل، ولكن لم يقتصر على ذلك بل كانت هنالك ظاهرة حرق الجثث وحفظ رمادها في أوعية فخارية خاصة، ويبدو أن تلك العادات ترجع إلى تقاليد هندية أوربية صحيحة، ويرى الباحث جرني (Gurney) أن ذلك التقليد كان مستخدماً لدى الحثيين منذ بداية عصرهم التأريخي، وبذلك يكون الحثيين قد جمعوا في حضارتهم بين تقاليدهم الوافدة معهم والمكتسبة من حضارات المنطقة التي استوطنوا فيها[١].

ويبدو أنَّ المعتقدات الدينية لحياة ما بعد الموت عند الحثيين كانت تختلف نوعاً ما عن معتقدات الأقوام الأُخرى رغم تأثرها في بعض جوانبها بغيرها من المجتمعات المجاورة[٢] للمملكة الحثية ومنها الأقوام الحورية، غير أنَّها بصورة عامة كانت تلك الممارسات الطقسية تعكس ضمن تقاليد وعادات الشعوب الهندية[٣] وكذلك شعوب أقوام البحر المتوسط[٤].

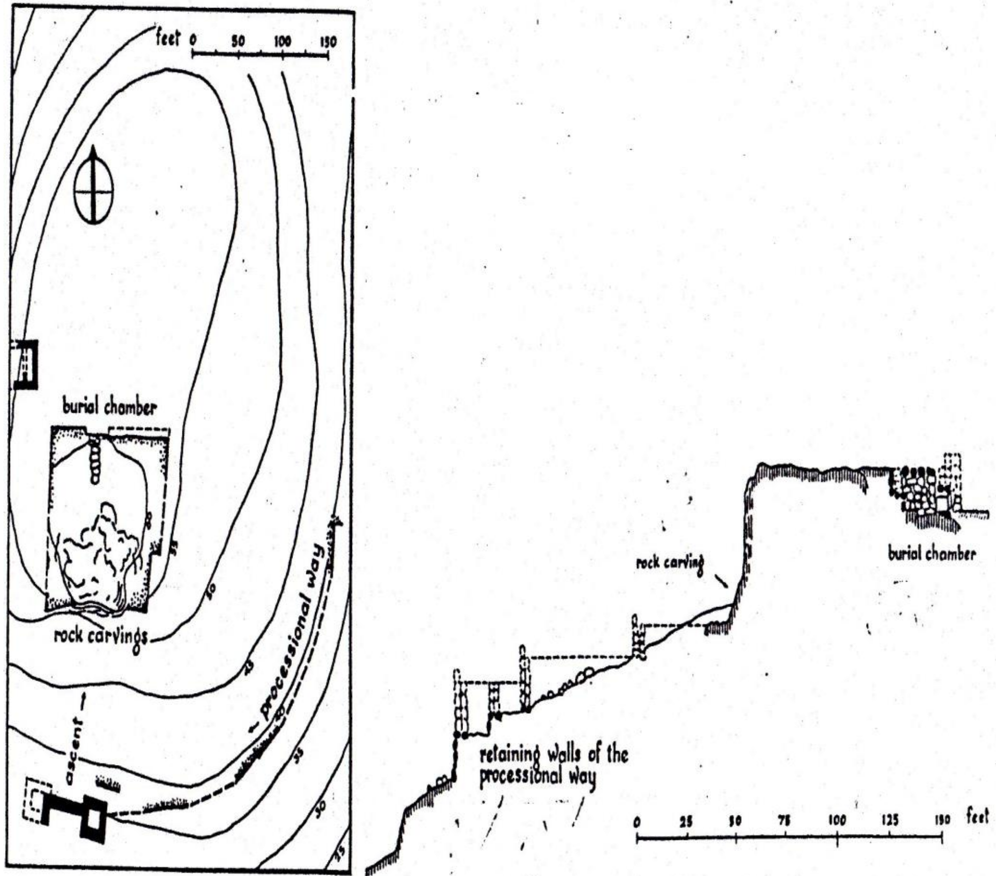
---

(١) الناضوري، رشيد، المدخل في التطور التأريخي للفكر الديني، بيروت، ١٩٦٦، ص١٥٤.

(٢) إن المجتمعات التي عاشت في بلاد الأناضول في تلك العصور شكلت في داخلها حضارة أحادية متكاملة في بعض جوانبها ومختلفة بعض الشيء عن الحضارات الأُخرى، وهذه الحضارة يجب أن لا تبقى بعيدة عن التأثيرات الحضارية للحضارات المجاورة الأُخر، وخاصة مما نلاحظه في مجال المعتقدات الدينية لحياة ما بعد الموت وذلك من خلال تزيين الأواني الفخارية المتعلقة بالأموات ودفنها بجانب الموتى، وهذا التشابه في طريقة دفن الأواني في بلاد الأناضول تم العثور عليه في شمال سوريا، إذ نلاحظ مدى تأثر الحضارات مع بعضها البعض في جانب المعتقد الديني لحياة ما بعد الموت، ينظر: Eyuboğlu , I. Z. , Op. Cit , P. 103.

(٣) في الحقيقة أن عملية الانتقال في دفن الجثة في بلاد الأناضول من عملية دفن الجثة إلى عملية حرق الجثة يتوافق تماماً مع تلك الفترة التي نستطيع القول فيها هو تدفق الأقوام الغير جزرية (السامية) الهندو أوربية إلى بلاد الأناضول بلا شك، وإلى حد ما نستطيع القول أيضاً ومن خلال التنقيبات الآثرية والتي جرت في بلاد الاناضول، فإن عملية حرق الجثة قد أخذت على عاتقها بعض الوقت لتصبح عرفاً سائداً ومشروعاً في بلاد الأناضول وتحديداً في المملكة الحثية الحديثة. ينظر: Lehmann , J. , Op. Cit , P. 155.

(4)Eyuboğlu , I. Z. , Op. Cit , P. 106.



(الشكل رقم ١)

مخطط ومقطع عرضي يظهر فيه أحدى المدافن الحثية والتي تم العثور عليه في أحد المواقع الصخرية الجبلية في اوسمانكايا .

مأخوذ من: Akurgal. E, The art of Hittite ,London,1962,P.105.

Burying Way by the Hittites and Their View of Life after Death

Lect .Dr. Khalaf Zeidan AL-Hadeedy

Abstract

This research includes burial methods that were used by the Hittites in addition to their view of life after death. We concluded through this research that there are three ways for burying the body in Anatolia. These methods had been naturally changed from one era to another according to the nature of the cultural customs and traditions that came to Anatolia as well as customs and traditions that were prevalent at the time until the cremation way had been used finally.

We also observe in this study and through written texts for religious Hittite myths related to religious ideas and beliefs of life after death, that they gave us a view of the beliefs that they were common about the other life as well as the fate of the human being and how he lived it as the population of Anatolia adopted the beliefs of what after death and the other life as the condition was with their preceding or contemporaneous nations .